

شَوْقٌ إِلَى الْمَدِينَةِ

تَأَلَّفَ

د. مُحَمَّدُ بْنُ إِبرَاهِيمَ الْحَمْدِ



دار ابن الجوزي

زَوْقُ الْهَلَسِيَّةِ

جميع الحقوق محفوظة الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٣٨هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب
أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي
نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته
إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.



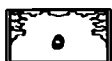
دار الإبتداء

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣، ص ب: ٢٩٥٧
الرمز البريدي: ٣٢٢٥٣ - الرقم الإضافي: ٨٤٠٦ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تلفاكس: ٢١٠٧٢٢٨
جوال: ٥٠٣٨٥٧٩٨٨ - الإحصاء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٨١٣٧٠٦ - بيروت
هاتف: ٠٣/٨١٩٦٠٠ - فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - القاهرة - ج م ع - محمول: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨
تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٧٠ - الإسكندرية - ٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣ - البريد الإلكتروني:

aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مقدمة

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الهدية شعور جميل يحمل في طياته معاني الود، والشوق، والذكرى، والكرم، والوفاء، والشكر، والإحساس، ونحو ذلك من المعاني الجميلة.

هذا وإن الحديث هاهنا ليس عن أحكام الهدية، بقدر ما هو عن ذوق الهدية، وما ينبغي أن تكون عليه من اللطف، وحسن التأتي، ومراعاة الأحوال، واشتمالها على إسعاد المهدي إليه، وإعزازه، وإعلاء قيمته، واستمالة قلبه، وزيادة محبته، وإطفاء ثائرتة، ونحو ذلك مما ينبغي أن تكون عليه الهدية.

كما أن هذا الحديث سيتناول المهدي إليه، وما ينبغي أن يكون عليه من الذوق في تلقي الهدية، وقبولها، وما جرى مجرى ذلك؛ فتلك مقاصدُها - على سبيل الإجمال - ومما

يضيف عليها روعة، وجمالاً، ورونقاً، وجلالاً، ويجعلها تؤتي ثمارها أضعافاً مضاعفة.

أما إيضاح ذلك فيحتاج إلى تفصيل، وهو ما سيتبين في الصفحات التالية؛ حيث سيتناول الكلام فيها ما يلي:

- فضائل الهدية.

- مظاهر ذوق الهدية.

- غرائب الناس في الهدية.

- الخاتمة.

فإلى بيان ذلك، والله المستعان، وعليه التكلان.

د. محمد بن إبراهيم الحمد

الزلفي: ص.ب: ٤٦٠

١٤٣٧/٨/٧هـ

جامعة القصيم - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

WWW.TOISLAM.NET

ALHAMAD@TOISLAM.NET

@M_ALHAMAD

فضائل الهدية

الهدية تورث المحبة، وتكذب سوء الظن، وتستل سخائم القلوب، وتدني البعيد، وتُقَوِّمُ المناد، وتشيع روح الألفة، وتعين على قطع دابر الفرقة؛ فلا غرو - إذا - أن تكون شعبة إيمانية، وخصلة أخلاقية، ومحلاً لإجماع الناس على اختلاف طبقاتهم، وأعراقهم، وأديانهم، ومذاهبهم.

ولقد خفّلت كُتُبُ التفسير، ودواوينُ السُّنة، وشروحُها، ومنشآتُ الأدباء، وكُتُبُ السير، وتواريخُ الأمم - بالكلام على الهدية، وفضلها، وآثارها، وآدابها، وما جرى مجرى ذلك.

قال الله ﷻ عن بلقيس: ﴿وَأَنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥] وذلك كما في قصتها مع نبي الله سليمان عليه السلام.

وفي ذلك إشارة إلى أن الهدية كانت معروفةً عند الأمم السابقة.

قال النبي ﷺ حاثاً على الهدية: «تهادوا تحابوا». رواه البخاري في «الأدب المفرد»، وصححه الألباني.

قال حكيم: «الهدية سحر، والبشر سحر، والمساعدة سحر».

يعني: أن تلك الخصال تعمل عمل السحر من جهة تأثيرها في القلوب.

وقال الحكيم العربي:

إن الهدية حلوة كالسحر تجتذب القلوبا
تدني البعيد من الهوى حتى تصيِّره قريبا
وتعيد مُضْطَغِنَ العداوة بعد بغضته حبيبا
تنفي الضغينة عن ذوي الشِّحْنَا وتمتَحِق الذنوبا

وقيل في إشارة إلى ذوق الهدية: «ثلاثة تدل على عقول أصحابها: الهدية، والرسول، والكتابة».

وقال الهيثم بن عدي: «كان يقال: ما ارتُضي الغضبانُ، ولا اسْتُعْطِفَ السلطان، ولا سُلِبَت الشَّحْنَاء، ولا دُفِعَت المِغَارِم، ولا تُوقِيَ المحذور، ولا اسْتُعْمِلَ المهجور بمثل الهدية والبر».





مظاهر ذوق الهدية

مرت الإشارة في المقدمة إلى شيء من مقاصد الهدية، وما ينبغي أن تكون عليه من الذوق، وفيما يلي بيان لتلك المقاصد بشيء من البسط.

١ - سترها، وتعجيلها، وتصغيرها

فمن ذوق الهدية سَتْرُها، وتعجيلها إن كانت وعداً، وتصغيرها ولو كانت كبيرة.

وعلى ذلك يحمل ما جاء من الآثار والحكم في ذلك شأن الهدية.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا يتم المعروف إلا بثلاث: بتعجيله، وتصغيره، وستره؛ فإذا عَجَّلَه هنأه، وإذا صَغَّرَه عَظَّمَه، وإذا سَترَه تَمَّمَه».

وقال البحرني في أحد ممدوحيه:

عَجِّلْ بالذي تنيل يده إن بُطء النوال من تَنكِيدِه

وقال آخر:

إن الكريم إذا حباك بموعد أعطاكه سلساً بغير مطال

ومن أبدع ما قيل في تصغير المعروف قول أبي نوفل الثقفي :
ولئن فرحتَ بما ينالك إنه لبما ينيلك من نداءه أفرحُ
ما زال يعطي ساكتاً أو ناطقاً حتى ظننت أبا عقيل يمزحُ
وفي المقابل تجد ذمً من يؤخر الهدية إذا وعد بها، قال
بشار بن برد في هذا المعنى :

أطلت علينا منك يوماً سحابة أضاءت لنا برقاً وأبطأ رشاشها
فلا غيمها يُجلى فييأس طامعٌ ولا غيئها يأتي فيروى عطاشها
هذا من حيث الأصل، وهو أن الهدية تُعَجَّل، وتُصَغَّر،
وتُسْتَر.

ولكن قد يقتضي ذوق الهدية خلاف ذلك؛ فقد يحسن أن
تؤخر الهدية حتى تكبر، أو يأتي وقتها المناسب، وقد يجمل
أن تُعلن إذا كان ذلك أليق كما إذا كانت المناسبة عامة،
والتكريم ظاهراً للناس؛ فإعلان الهدية - والحالة هذه - هو
المتعين.

وقد يُلائم أن يُخبر المهدي إليه بقيمة الهدية إذا كانت
كبيرة وهو يجهل ثمنها، أو لا يظن أنها تبلغ ما تبلغ من
القيمة؛ فإذا أعلم بقيمتها على سبيل الإخبار والإشارة لا على
سبيل الإدلال والمنة؛ لأجل كسب مودته وإشعاره بقيمته - كان
ذلك مناسباً.

٢ - حسن اختيارها

فمن ذوق الهدية حسن اختيارها؛ وذلك من جهة النظر إلى المهدى والمهدى إليه جميعاً؛ فهدية الكبير والموسر تليق به، ولا يحسن أن تنزل عن مَدْرَجَتِهِ.

وما يقدم للمهدى إليه من هدية يحسن أن يكون لائقاً بمقامه؛ حتى تقع الهدية موقعها.

قال ابن قتيبة: «قال بعضهم: الهدية إذا كانت من الصغير إلى الكبير فكلما لطف ودَقَّتْ كان أبهى لها، وإذا كانت من الكبير إلى الصغير فكلما عظمت وجَلَّتْ كان أوقع لها وأنجع».

٣ - الحذر من احتقار الهدية

فمن ذوق الهدية ألا يحتقر المهدى ما يهديه، ولا المهدى إليه ما يقدم إليه؛ إذ قد يكون بعض الناس مجبولاً على الإهداء، وقد يكون كبيراً موسراً؛ فهل يقال له: إما أن تهدي نفسك، أو لا تهدي شيئاً؟

لا؛ وإنما قد يقدم هذا وهذا في أحوال وأحوال، ولأشخاص وأشخاص؛ فلا يحسن به - إذاً - أن يحتقر ما يُقدَّم.

وكذلك المهدى إليه لا ينبغي له أن يحتقر الهدية، ولو كانت عوداً من أراك.

ومما يحضر في هذا الشأن أن شيخنا سماحة الإمام

عبد العزيز بن باز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان مهدياً لا يكاد يجارى في هذا الباب، وكان يهدي الهدايا النفيسة، ولو سُئِلَ ما سُئِلَ لأعطاه بكل سرور وارتياح.

وربما أُهْدِيَتْ له الأطياب الفاخرة؛ فأهداها في الحال لمن هم بجانبه.

ومع ذلك فهو لا يحتقر ما هو دون ذلك؛ فيكون لها مذاق خاصٌّ إذا صدرت منه.

وأذكر أنني في يوم من الأيام كنت في الطريق إلى مكة لأداء العمرة، وكان معي الأهل والوالدة - رحمها الله -، فلما وصلنا الطائف - وكان الشيخ فيه إذ ذاك - رغبتُ في السلام على سماحته، وكان ذلك قبيل صلاة المغرب؛ حيث انتظرتُه عند باب المسجد ريثما يأتي من منزله؛ فلما أقبل بادرته بالسلام، فرد بأحسن منه، ثم أخذ يلح بالدعوة إلى العشاء، والمبيت، والغداء غداً؛ فأخبرته أن الأهل والوالدة معي؛ فزاد إلحاحاً، وقال: عندنا مكان للمبيت؛ فأخبرته أننا سنذهب إلى مكة، وبعد أداء العمرة سأتي مرة أخرى للسلام عليك، فقال: اللَّهُمَّ اهدنا فيمن هديت؛ إذا ما فيه فائدة؟.

قلت: إن شاء الله آتيك بعد يوم أو يومين؛ حينها تحسّس جيبه، وأخرج سواكاً جديداً طرياً مسنوناً، وقال: إذا تفضل هذا المسواك، فأخذه منه، وشكرته، وودعته؛ فكانت هذه

الهدية التي جاءت على تلك الحال، ومن ذلك الإمام الجليل -
أحبَّ إلي من أنفس الهدايا.

وإلى هذا الذوق الجميل يشير قول النبي ﷺ في الحديث
الصحيح: «لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة». رواه
البخاري ومسلم.

الفُرسين: بكسر الفاء، وسكون الراء، وكسر السين ثم
نون: هو العظم قليل اللحم، وهو خف البعير أيضاً، وقد
يستعار للشاة وهو الظلف.

والمقصود بالفرسن في الحديث: حافر الشاة.

ومعنى الحديث: لا تحقرن جارة أن تهدي إلى جارتها
شيئاً ولو أن تهدي لها ما لا يُنتفع به في الغالب، وإنما حذف
المفعول؛ اكتفاء بشهرة الحديث، ولأن المخاطبين يعرفون
المراد منه.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ فِي هذا الحديث: «ومعناه: لا تمتنع
جارة من الصدقة والهدية لجارتها؛ لاستقلالها واحتقارها
الموجودَ عندها، بل تجود بما تيسر وإن كان قليلاً كفرسن
شاة، وهو خير من العدم، وقد قال الله - تعالى -: ﴿فَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) [الزلزلة: ٧].

وقال النبي ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة».

قال القاضي: هذا التأويل في الظاهر، وهو تأويل مالك؛ لإدخاله هذا الحديث في باب الترغيب في الصدقة.

قال: ويحتمل أن يكون نهياً للمعطاة عن الاحتقار.

وقال ابن حجر رحمته الله: «وقال الكرمانى: يحتمل أن يكون النهي للمعطية، ويحتمل أن يكون للمهدى إليها.

قلت: ولا يتم حمله على المهدى إليها إلا بجعل اللام في قوله: «لجارتها» بمعنى من، ولا يمتنع حمله على المعنيين».

وبالجملة فالحديث يُستفاد منه فائدتان:

الأولى: ألا يحتقر المهدى شيئاً يهديه ولو قلّ.

الثانية: ألا يحتقر المهدى إليه شيئاً ولو كان حقيراً في نظره.

ولقد كان من هدي النبي ﷺ الإهداء، وقبول الهدية، والإثابة عليها، وعدم احتقار أي شيء منها.

قال - عليه الصلاة والسلام -: «لَوْ دُعِيتَ إِلَى كُرَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ». رواه البخاري.

والكُرَاع: مُسْتَدَقُّ السَّاقِ مِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، الْعَارِي مِنَ اللَّحْمِ.

وفي ذلك الحديث مبالغة في قبول الهدية ولو قلّت.

٤ - ألا يترتب عليها إضرار بأحد

فمن ذوق الهدية الحرصُ على ألا يترتب عليها إضرارٌ بالآخرين، كحال من يهدي لأحدٍ هديةً؛ لأجل الزرابة بآخر لم يهد، وكالإهداء لبعض الأولاد دون بعض، إذا ترتب على ذلك قطيعة، وتفرقة، وشحناء، وكالإهداء لبعض الطلاب دون بعض بلا سبب يقتضي الإهداء.

فذلك كله مما ينافي مقاصد الهدية من تقريب القلوب، وإزالة وحشتها.

٥ - مراعاة زمان تقديم الهدية

فبعض الهدايا يحسن أن تُقدَّم في الشتاء، وبعضها في الصيف، وبعضها في الربيع، وهكذا؛ كبعض أنواع الملابس، أو أغراض التدفئة، أو التبريد، أو نحوها؛ فإذا قُدِّمت الهدية في وقتها كان وقعها أكبر، ودلَّ ذلك على ذوق صاحبها؛ كأن تُقدَّم جبةٌ في يوم شديد البرد، أو تهدي أقمشة غليظة في بداية دخول الشتاء ونحو ذلك، أو أن تهدي بعض أنواع الملابس أو الأحذية الملائمة للصيف، وهكذا.

وكذلك الحال بالنسبة للأطعمة؛ فبعضها يلئم زماناً، وبعضها يلئم آخر.

ويدخل في مراعاة زمان الهدية ملاحظة الوقت الملائم لتقديمها؛ فقد تكون بعد نجاح، أو نيل درجة علمية، أو

بمناسبة مرض، أو شفاءٍ منه، أو بعد معروف أو جميل صنع؛
فمراعاة الزمان في الهدية يضفي عليها رونقاً وجمالاً.

٦ - مراعاة حال المُهدى إليه

فبعض الناس يَحْسُن أن يُهدى إليه هديةً معينة، أو نوعٌ
يحتاجه، أو يليق به.

وقد يحسن أن يُهدى لشخص هديةً في حال أو زمان،
ويهدى إليه أخرى في حال أو زمان آخر.

مثال ذلك: العطور، والأطياب عموماً، وهي أكثر ما
يُهدى؛ فقد يليق أن تكون الهدية منها.

ولكن قد يكون المُهدى إليه من الخبراء بذلك الشأن؛
فمهما أهديت إليه من ذلك فلن يقع موقعه الذي تريد؛ فيحسن أن
يعطى نوعاً آخر من الهدايا إلا إذا كان ما يهدى إليه من الطيب
أنواعاً نادرة، أو ما قد يغلب على الظن أنها لم تصل إليه، أو أنه
يحبذها بعينها؛ فإن الطيب - ما زال - من أجمل وأشهر ما يهدى.

قال الصنوبري:

الطيب يُهدى ويُستهدى طرائفه وأشرف الناس يهدي أشرف الطيب

وقد يكون المُهدى إليه راغباً في أنواع من الطعام، أو
محبباً لصنعة معينة من هذا القبيل، أو لصنيع فلان أو آل فلان؛
لكونهم يحسنون ذلك؛ فإذا أهدى إليه ما يهوى كان ذلك عنده
أوقع أثراً.

وقد يحسن أن يُهدى إليه ما هو بحاجة ماسة إليه؛ فقد يكون مديناً بمال، وصاحبه يعلم بذلك؛ فيرفده بجانب من ماله هديةً له، ويشعره بأنه قد احتار في اختيار الهدية المناسبة؛ فرغب في أن تكون مالية؛ ليختار ما يشاء؛ فيسد بذلك خلته، ويحفظ عليه كرامته.

وقد يكون المُهدى إليه صاحبَ علمٍ ويحتاج إلى نوع معين من الكتب، أو المخطوطات، أو يكون صاحب كتابة ويرغب في نوع من الأقلام أو الأوراق، أو صاحب عناية إلكترونية، ويحبذ الجديد أو المتميز منها، أو أن يكون من ذوي الميول لتربية أنواع من الإبل، أو الخيل، أو الغنم، أو يكون بحاجة إلى مركبة، أو غرض لمزرعته، أو متجره؛ فمراعاة ذلك وما جرى مجراه مما يرفع من قيمة الهدية، ويعلي من شأنها، ويجعلها تقع مواقعها اللائقة بها.

٧ - ألا تقطع عادتك في الإهداء

فمن روائع ذوق الهدية ألا تَقْطَعَ عادَتَكَ في الإهداء لمن اعتادها منك إما في المناسبات، أو في كل عام، أو زيارة، أو نحو ذلك.

ويتأكد هذا الأمر إذا حصل جفوة في الصداقة، أو فتور في العلاقة؛ فإن مواصلتك لعادتك الجميلة يقطع دابر الفتنة، ويعيد ما مضى من صادق المودة.

وهذا الذوق صنيع ذوي النفوس الكبيرة التي تؤثر المعالي، وتنأى عن السفاسف.

قال ابن قتيبة في عيون الأخبار: «روى الزبير بن بكار عن عمه قال: كان الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة يجلس وعمرو بن عبيد الله بن صفوان ما يكادان يفترقان، وكان عمرو يبعث إلى الحارث في كل يوم بقرية من ألبان إبله، فاختلف ما بينهما؛ فأتى عمرو أهله، فقال: لا تبعثوا للحارث باللبن؛ فإننا لا نأمن أن يرده علينا، وانقلب الحارث إلى أهله فقال: هل أتاكم اللبن؟

قالوا: لا؛ فلما راح الحارث بعمره قال: يا هذا! لا تجمعن علينا الهجر وحبس اللبن؛ قال: أمّا إذا قلتَ هذا فلا يحملها إليك غيري؛ فحملها من ردم بني جُمَحٍ إلى أجباد».

٨ - مراعاة حال تسليم الهدية

فمن جميل مراعاة ذوق الهدية مراعاة حال تسليمها؛ فقد يحسن أن تسلم إلى صاحبها عبر وسيط لا يعلم ما هي ولا لمن أهديت؛ بحيث تصل إلى المُهدى إليه دون أن يشعر الوسيط بما تحتوي عليه، ودون أن يعلم أنها لفلان بعينه.

وهذا ما يفعله بعض أهل الذوق في الهدايا؛ إذ قد يستحي من تسليمها لصاحبها مباشرة، وقد كان بعض الأكابر من السلف إذا أراد إعطاء أحدٍ من الناس وعدّه في الليل،

وسلّمه إياه في مكان مظلم حياءً من خجلة الآخذ، وإمعاناً في حفظ كرامته .

وقد يحسن أن تُسلّم للمُهدى إليه في محضر عامّ كما في حفلات التكريم، فتسلم له أمام جمهور من الناس، أو أمام زملائه في العمل، أو في قاعة الدرس، ونحو ذلك .

وقد يحسن أن تُسلّم له في محضر جمع معين؛ كأن تسلم له في بيته وبين أولاده، أو أن تسلم له أمام إخوته، أو والديه، أو بعض أقاربه، أو أمام بعض أصحابه؛ وذلك من باب إعزازه أمام مَنْ تُسلّم الهدية بحضرتهم، أو ليُرى مكانه عند المهدى، أو لنفي وحشة يُظن وقوعها بينه وبين المهدى، أو لإبلاغه اعتذار المعتذر مصحوباً بالهدية إلى غير ذلك من المقاصد المعتمدة .

ومن ذوق الهدية في ذلك الشأن إذا كانت مالية أن يرسلها إلى المهدى إليه عبر حسابه الخاص؛ حتى لا يخجله بتسليمها إياه، وهذا ما قد يناسب بعض الناس دون بعض .

٩ - إصحاب الهدية بمعاني الود واللفظ

ومن ذوق الهدية إصحابها بعبارات لطيفة، وإمهارها بتوقيع المهدى، وتاريخ الإهداء، مع مراعاة ألا يُفخّم المهدى هديته، وأن تكون عباراته حاملة معاني الود، والاعتذار عن التقصير .

ومما يذكر في هذا الصدد قول محمد بن مهدي العكبري
معتذراً:

هديتي تَقْصُرُ عن همتي وهمتي تَكْبُرُ عن مالي
وخالص الودِّ وَمَحْضُ الهوى أفضل ما يهديه أمثالي
ولا بأس أن تحمل الكلمات المصاحبة للهدية بعض
الدعابة خصوصاً إذا كان المُهدى إليه قابلاً لها، وعالماً بموقعه
عند المهدي.

ومن طريف ما يذكر في هذا الشأن: ما ذكره جورج
صيدح أحد أدباء المهجر أن نعمة قازان - وكان صاحب محل
أحذية - أهدى إلى توفيق ضعون حذاءً، وأرفقه بهذين
البيتين:

لقد أهديتُ توفيقاً حذاءً فقال الحاسدون: وما عليه
أما قال الفتى العربيُّ يوماً شبيه الشيء منجذب إليه
فشكره توفيق على الهدية، وأرسل إليه باقة من الورد،
وأرفق فيها هذين البيتين:

لو كان يهدى إلى الإنسان قيمته لكنْتُ أسألك الدنيا وما فيها
لكن تَقَبَّلْتُ هذا النعل معتقداً أن الهدايا على مقدار مهديها
ولا شك أن هذا من أدب التنندر والفكاهة بين
الأصحاب، وإلا فإن النعل من جميل ما يُهدى؛ إذ هو أنواع،
وقد يُهدى لمريض نوعٌ من النعل، أو لإنسان يهوى المشي ما

يلائمه منها، أو إلى إنسان يرغب في نوع من ذلك؛ فيكون أوقع عنده من غيره.

وقد قالت امرأة حكيمة: إن إهداء النعل أحب إلي من إهداء الحقيبة؛ لأن النعل تحملني، وأنا أحمل الحقيبة.

هذا بالنسبة لما تُصحب به الهدية من كتابة؛ إذ بعض المهدي إليهم تسعده العبارات التي تكون مع الهدية أكثر من الهدية نفسها؛ فقد يكون ممن يحتفظ بتلك العبارات؛ فيعظم أثرها في نفسه.

ومن أروع ما جاء في هذا السياق أن أبا العتاهية أهدى إلى الفضل بن الربيع وقد قَدِمَ من سفرٍ نعلًا، وكتب على شراكها:

نَعْلٌ بَعَثْتُ بِهَا لِتَلْبَسَهَا قَدَمٌ تَسِيرُ إِلَى الْمَجْدِ
لو كان يصلح أن أشرَّكها خدِّي جعلت شراكها خدي

فحملها الفضل إلى الأمين، فقال: ما هذا النعل يا عباس؟ قال: أهداها لي أبو العتاهية، وكتب عليها بيتين شعراً؛ فكان أمير المؤمنين أولى بهما؛ لما وَصَفَ بها لابسها.

قال: ما هما؟ فقرأهما عليه؛ فقال: أجاد، والله ما سبقه إلى هذا المعنى أحد؛ هبوا له عشرة آلاف درهم؛ فأخرجت إليه في بَدْرَةٍ.

وأهدى الطائي إلى الحسن بن وهب قلمًا، وكتب إليه:

قد بعثنا إليك أكرمك اللـه به بشيء فكن ذا قبول
لا تقسه إلى ندى كفك الغم - ر ولا نيلك الكثير الجزيل
واغتفر قلة الهدية مني إن جهد المقل غير قليل
ولا يلزم أن تكون الهدية مصحوبة بذلك؛ إذ قد يكفي أن
تعبّر الهدية عن نفسها.

١٠ - مراعاة مكان الهدية

فمن جميل ذوق الهدية أن يُراعَى مكانها، وقد مرّت
الإشارة إلى شيء من ذلك؛ فقد يحسن أن تكون في مكان دون
مكان، فإذا كانت - على سبيل المثال - ستقدم لكبير، أو
مشهور وأريد إكرامه بمحضر - فقد يكون إعطاؤها إياه في
مسقط رأسه أحب إليه، وأعزّ له، وأبلغ في إكرامه.

ومما يذكر في هذا الصدد ما ذكره الثعالبي عن القاضي
علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب الوساطة بين
المتنبي وخصومه، وصاحب التصانيف الأخرى في التفسير
وغيره، وصاحب القصيدة المشهورة، التي يقول فيها بيته
السائر:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما

حيث حدث الثعالبي عن أبي نصر التهذيبي قال: سمعتُ
القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز يقول: انصرفْتُ يوماً من

دار الصاحب^(١)، وذلك قبيل العيد؛ فجاءني رسوله بعطر الفطر، ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان:

يا أيها القاضي الذي نفسي له مَعْ قُرْبِ عَهْدٍ لِقَائِهِ مشتاقه
أهديتُ عطراً مثلاً طيباً ثنائه فكأنما أهدي له أخلاقه

قال: وسمعتُه يقول: إن الصاحب يُقَسِّم لي من إقباله وإكرامه بجرجان أكثر مما يتلقاني به في سائر البلاد.

وقد استعفيته يوماً من قَرُط تحيته بي، وتواضعه لي، فأنشدني:

أكرم أخاك بأرض مولده وأمدّه من فعلك الحسن
فالعزُّ مطلوب وملتمس وأعزه ما نيل في الوطن

ثم قال: قد فرغت من هذا المعنى في العينية، فقلت: لعل مولانا يريد قولي:

وشيدتُ مجدي بين قومي فلم أقلّ ألا ليت قومي يعلمون صنيعي

فقلت: ما أردتُ غيره، والأصل فيه قوله - تعالى -:

﴿بَلِّغْ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ يَمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴿

[يس: ٢٦ - ٢٧].

وقد يحسن أن تُقدِّم الهدية في مكان العمل، أو قاعة

(١) يعني: الصاحب بن عباد، وكان مُكْرَماً مُجَلَّلاً للقاضي علي بن عبد العزيز

الدرس إذا كانت لطالب، أو نحو ذلك مما مرت الإشارة إليه، أو ستمر في فقرات قادمة.

١١ - التنوع في الهدية خصوصاً

إذا قُدِّمت لمجموعة متفرقة

فمن ذوق الهدية أنْ إذا أُهدي إلى مجموعة من الأشخاص أن ينوَّع فيها؛ بحيث يكون - قدر الإمكان - لكل واحدٍ منهم ما يخصُّه؛ حتى لا يعلم بعضهم أن فلاناً قد أُهدي إليه كهديته؛ لأن بعض الناس قد ينزل قدر الهدية عنده إذا علم أن غيره أُهدي إليه مثلها.

أما إذا كانت الهدية بمحضر جمع من الناس، وأراد المهدي أن يهدي إليهم جميعاً - فلا بأس أن تكون الهدية من نوع واحد.

وكذلك الحال لو أُهدي إلى أناس في أماكن متباعدة، أو كانوا لا يعرف بعضهم بعضاً.

١٢ - نسيان الهدية والحذر من التذكير بها

فمن ذوق الهدية نسيانها، وترك التذكير بها تصريحاً أو تلويحاً؛ فذلك دأب النفوس الشريفة، وذوي المروءات العالية؛ فالواحد من هؤلاء - كما قال ابن الرومي -:

تلقاه وهو مع الإحسان معتذراً

وهو ذوق يغيب عن ثاكلي المروءة، وذوي النفوس الصغيرة؛ فتراهم لا يأنفون من التذكير بما يقدمون.

وأقبح ما في ذلك: المنة في الهدية؛ فمن الناس من إذا أعطى عطية، أو بذل نصيحة، أو قدّم معروفاً - أتبعه بالمن والأذى، والإدلال على من أحسن إليه، وتذكيره بتعداد الأيادي عليه.

والمنة خلق ساقط، وعمل مردول، قد نهى الله - تبارك وتعالى - عنه بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوءَ صَدَقْتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم»، قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب». رواه مسلم.

قال رجل لبنيه: «إذا اتخذتم عند رجل يدأ فانسوها».

وقالوا: «المنة تهدم الصنعة».

وقال الشاعر:

أفسدت بالمن ما أسديت من حسن ليس الكريم إذا أسدى بمنان

وقال الشافعي:

منن الرجال على القلو ب أشد من وقع الأسنة

وقال البارودي :

تَحَمَّلْتُ خَوْفَ الْمَنِّ كُلَّ رَزِيئَةٍ وَحَمَلْتُ رِزَايَا الدَّهْرِ أَحْلَى مِنَ الْمَنِّ

ومع أن تعداد الأيادي ليس من صفات الكرام إلا أنه يحسن ويسوغ في حال المعاتبة والاعتذار .

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ : «حالان يحسن فيهما ما يقبح في غيرهما ، وهما المعاتبة ، والاعتذار ، فإنه يحسن فيهما تعدد الأيادي ، وذكر الإحسان ، وذلك غاية القبح في ما عدا هاتين الحاليتين» .

١٣ - الاتحاف بالهدية حال القدوم من السفر

فالمسافر الذي يبتعد عن أهله ، ووالديه ، وأولاده ، وإخوانه ، وسائر أحبائه - يكون له وحشة ، وشوق بقدر منزلته عندهم ، ومنزلتهم عنده ؛ فهم يُعَدُّون الليالي ليلةً بعد ليلة ينتظرون إطلائَهُ عليهم ، ويدعون الله بأن يرده سالماً إليهم ؛ فمما يزيد تلك الرابطة ، ويدل على كرم نفس الإنسان ألا يُغْفَلَ باب الهدايا ؛ فَيُخْرِصَ على شراء بعض ما يراه مناسباً من البلد الذي سافر إليه ؛ ليكون هديةً لبعض من يحب من نحو والد ، أو زوج ، أو ولد ، أو أخ ، أو صديق ، وذلك بحدود طاقته ، وما لا يُكَلِّف عليه .

ويحسن به ألا يحقر شيئاً من ذلك ولو كان قليلاً في نظره ، ولو كانت قطعة حلوى ، أو عود سواك ؛ فالهدية بمعناها لا بقيمتها .

فللهدية خصوصاً حال القدوم من السفر فرحة خاصة،
وأثر عظيم في نفس المهدي إليه، بل إن لها سعادةً غامرةً في
نفس المهدي.

وجرب ذلك من نفسك إذا اشتريت بعض الهدايا في
سفر، كيف تتمنى أن تطوى لك الأرض؛ كي تصل إلى من
تحب؛ لتهدي إليهم ما أتيت به معك.

وهذا الأثر لا يكون في نفسك إذا لم تصحب معك
هدايا.

فلا تكن ممن إذا قدم إلى أهله بعد سفره قال:
احمدوا الله أنني وصلت إليكم بالسلامة؛ فأنا أعظم من كل
هدية!

١٤ - الأسرار بالهدية

وقد مرت الإشارة إلى شيء من ذلك؛ فمن ذوق الهدية
ألا يُخبر بها أحدٌ سواء من قبل المهدي أو المهدي إليه إلا إذا
اقتضت الحكمة والمصلحة الإخبار، كما إذا كان المُخبر بذلك
ممن يفرح بالتهادي بين المهدي والمهدي إليه، أو كان ممن
يظن أن بينهما مُوجدة أو قطيعة؛ فيرى بالهدية أن ظنّه ليس في
محله، أو يكون والدًا يفرح بالهدية تقدم إلى ولده أو العكس،
ونحو ذلك من الاعتبارات التي تُكبر من شأن الهدية، وتضاعف
آثارها الحميدة.

أما إذا لم يكن ثَمَّ مصلحةٌ في الإخبار فإن طَيَّ الهدية أولى من الإخبار بها خصوصاً من قبل المُهدى إليه؛ إذ قد يجر إلى المهدي شحناء لا قَبْلَ له بها؛ فقد يجد بعضٌ مَنْ لم يُهَدِّ إليهم شيئاً من الغيظ على المهدي.

وقد يظنون ذلك تجاهلاً لهم، ونقصاً من أقدارهم.

١٥ - إتحاف الطلاب بالهدايا

فمن جميل الهدايا ما يقدم للطلاب بين الفينة والأخرى؛ فلذلك أعظم الأثر في توطد العلاقة، وحصول السعادة؛ فيحسن بالأستاذ ألا يغفل هذا الصنيع، ويجمل به ألا تخلو حقيبته من الهدايا؛ من نحو الكتب، أو الأقلام، أو الطيب، أو نحو ذلك.

ويحسن به إذا قرر عليهم كتاباً من تأليفه أن يهديه إليهم إذا كان ذلك لا يشقُّ عليه، ولو أهدى لهم المذكرات التي يقررها عليهم لكان هذا طيباً؛ فذلك مما يسعدهم، ومما يسدُّ به الأستاذ خلل التقصير الحاصل منه.

١٦ - ألا يكبر في نفسك أن لم يكن أهدي إليك

فيحسن بالعاقل إذا أهدى لأحد من زملائه، أو إخوانه، أو أصحابه دون أن يُهدى إليه مثله - ألا يكبر ذلك في نفسه، وألا يجعل هذا الصنيع سبباً لنسف علاقة وطيدة تقوم عليها الشواهد المتكاثرة؛ فقد يكون لتخصيص فلان دون فلان مسوغٌ

خفي، أو قد يكون ناتجاً عن غفلة المهدي ونسيانه للآخرين، وقد تكون الهدية لمعروف سابق، أو يكون باعثها التماس رضا المهدي إليه من زلة سابقة، وهكذا...

فالتماس المعاذير، وترك العتب وإساءة الظن في ذلك الشأن - دأب النبلاء، وأدب الفضلاء ممن تمت مروءتهم، وكمل سؤددهم.

١٧ - حمل الهدية عن المهدي إليه

فمن ذوق الهدية إذا كانت ثقيلة، أو كثيرة أن تحمل عن المهدي إليه، وتوصل إلى سيارته، أو إلى بيته.

وإن كان المهدي إليه ضيفاً قد نزل على صاحب له، وكانت الهدية كثيرة، أو ثقيلة، وكان الضيف قادماً من بلد آخر أن تحمل عنه، أو تشحن في الطائرة إن كان قادماً عبر الجو، أو أن ترسل عبر أناس يوصلونها إلى منزله؛ حتى لا يثقل عليه حملها بعد أن يصل، خصوصاً إذا كان كبيراً في السن، ولم يكن معه مرافق يتولى أمر الهدية؛ فذلك ذوق رفيع يتمم الهدية، ويعلي من شأنها.

١٨ - العناية بالهدايا المعنوية

فمما يدخل في قبيل الهدايا: الهدايا المعنوية، من نحو تعليم العلم النافع، وإسداء النصيحة الهادفة، والاقتراح المفيد، والمشورة الطيبة، والملاحظة اللطيفة، والحكمة الصائبة؛ فذلك

معدود في قبيل الهدايا التي تقابل بالشكران، بل قد تكون أنفـس بكثير من الهدايا الحسيّة؛ إذ قد تكون سبباً لرفعة شأن المهداة إليه في دينه ودنياه.

ولهذا قيل: «أكرم الهدايا: علّم نافع، ونصيحة موثوق بها، ومِدحةٌ صادقة».

ويدخل في ذلك بعث السلام، والأشواق عبر الرسالة أو الرسول.

قال رجل لأبي الدرداء: «إن فلاناً يُقرِّئك السلام، فقال: هدية حسنة، ومحمل خفيف».

ويدخل في ذوقها ما يدخل في الهدايا الحسيّة جملة وتفصيلاً.

١٩ - حسن القبول للهدية من قِبَل المهدى إليه

فمن ذوق المهدى إليه أن يتقبل الهدية بقبول حسن، وأن يظهر الفرح بها، وأن يرفع من شأنها، وألا يحتقر شيئاً منها ولو قلّ، وأن يكافئ صاحبها بهدية مثلها أو أنفـس منها، أو أن يجزل الثناء والدعاء والشكر لمسديها؛ فذلك ذوق تدركه النفوس التي أُشربت المروءة، وعرفت من أين تُؤتى المكارم، وتَنكُصُ عنه نفوسٌ أَلِفَت النُكران، وأدمنت الكفران؛ فلا غَرَو أن تنقبض الأيدي عن إتـحافها بالهدايا؛ لأن النفوس كما أنها جُبِلت على حُبٍّ من يُسديها

نعمة؛ فهي - أيضاً - مجبولة على حب من يشكرها إذا أسدت نعمة.

وإلى هذا المعنى يشير عنترة بقوله:

نَبِئْتُ عَمْرَأَ غَيْرَ شَاكِرٍ نِعْمَتِي وَالْكَفْرُ مَخْبَنَةٌ لِنَفْسِ الْمُنْعِمِ

ومن جميل ما يذكر في شكر الهدية قول أبي الطيب:

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تَهْدِيهَا وَلَا مَالُ فَلْيَسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ تَسْعِدِ الْحَالُ

وقول الآخر:

فَوَاللَّهِ لَا أَنْفَكَ أَهْدِي شَوَارِدًا إِلَيْكَ يُحْمَلُنَ الثَّنَاءُ الْمَجْمَلَا

الَّذُ مِنْ السُّلُوى وَأَطِيبُ نَفْحَةً مِنْ الْمَسْكِ مَفْتُوتًا وَأَيْسَرُ مَحْمَلَا

ومن لطيف ما يذكر من التهادي، وشكران الهدية ما ذكره

أبو حيان التوحيدي في كتابه «الصدقة والصديق» (ص ١١٣)

حيث قال: «بعث النَّضْرُ بن الحارث إلى صديق له بعبَّادان

نعلين مخصوفتين وكتب إليه: إني بعثت بهما إليك، وأنا أعلم

أنك عنهما غني، لكنني أحببت أن تعلم أنك مني على بال،

والسلام.

فأجابه: ما أنا بغني عن برك الذي يحثني على شكرك،

ويخرطني في سلكك، ويزيدني بصيرةً بزيادة الله عندك،

ومحبتك - لأنَّ أَعْلَمَ أَنِّي مِنْكَ عَلَى بَالٍ؛ لأنَّ يَقِينِي بِذَلِكَ

راسخ، وحمدي عليه غايد ورائح، لا عدمتك لي أخاً باراً، ولا
عدمتني لك قائلاً ساراً».

ومما هو داخل في ذلك القبيل ما جاء في مقطوعة شعرية
عنوانها (مروحة الروح) للشيخ محمد الخضر حسين ومناسبتها:
أن صديقه الشيخ محمد المقداد المورتاني كتب وهو في تونس
إلى الشيخ الخضر بيتين من الشعر، وبعث بهما إليه وهو في
مصر، وكان مع البيتین هدية وهي عبارة عن مروحة مصنوعة
من سعف النخيل، والبيتان هما:

مِروحةٌ من تونسٍ إلى الأعز الأَخضر^(١)
نسِمْها يهدي له أذكى سلامٍ عطر
فأجاب الشيخ الخضر بقوله:

يا أخا الآداب صغت الشعر من كَلِمٍ يعذب في سمع وفم
ودريت الحرَّ في مصر إذا أقبل الصيف تلظى واحتدم
فتخيرت لأن تهدي لي من بلاد النخل مهداء النسم
أنا في حرٍّ من الشوق فما طِبُّ حرِّ الشوقِ إنْ شوقَ أَلَمِ
طِبُّه الناجعُ ملقاك ألا تبتغي مِصرَ سبيلاً للحرم^(٢)

(١) الأخضر هو اسم الشيخ الخضر، ولكن الأخير غلب عليه.

(٢) قوله: مصر سبيلاً للحرم؛ أي: طريقاً بين تونس ومكة لأداء فريضة الحج.

هذه مروحةُ الروح ودُعْ سَعف النخل إلى لحم ودم^(١)
والحاصل أن قبول الهدية - ولو قَلَّتْ - ذوقٌ عالٍ، وكرمُ
نفسٍ؛ فلا ينبغي - إذاً - أن تُردَّ الهدية.

فهذا هو الأصل في الهدية، وهو القبول لها، وذلك
إذا لم يترتب على ذلك مخالفة شرعية؛ كأن تكون الهدية
رشوة، كهدايا العمال وهم الموظفون الذين يأخذون هدايا
المراجعين أو المتعاملين معهم في نطاق عملهم، فهأنا ترد،
ولا تقبل.

وعلى مثل ذلك يحمل قول عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ
«كانت الهدية فيما مضى هدية؛ أما اليوم فهي
رشوة».

وقول الحكيم:

إذا أنت الهديةُ بابِ قومٍ تطايرت الأمانة من كُواها^(٢)
ومن الهدايا التي تُرد ولا تُقبَل: الهدايا المشتملة على
محرم، كالخمر، أو المخدرات، ونحو ذلك.

(١) يعني: أن مجيئك ولقياك مروحة للروح، أما مروحة السعف فمروحة
للجسد.

(٢) الكوى جمع كُوَّة، وهي الفتحة تكون في الجدار توضع لينفذ من خلالها
الهواء والضوء، ونحو ذلك.

٢٠ - مراعاة المُهدى إليه ملائمة الإخبار بالحدية أو عدمه

فمن ذوق المهدى إليه ألا يخبر بها أحداً إذا كان في الإخبار إيقاعاً للمهدي في الحرج؛ وذلك كأن يعلم أن في الإخبار إيقاعاً لبعض الصدور، أو حصول غير من بعضها الآخر، إلى غير ذلك من الأحوال التي تنغص الهدية، وتناى بها عن مقاصدها النبيلة.

ومن ذوقه - أيضاً - أن يخبر بالهدية مَنْ يَعْلَم أنه يفرح بها، ولا يقع في نفسه حرج أو ضغينة على المهدي؛ فذلك مما تتسع به دائرة الحب، ويحصل به الاقتداء، وإنزال الناس منازلهم عبر الشناء الصادق، والاعتراف بالجميل.

وهذا راجع إلى حكمة المهدى إليه، وذوقه، وألمعيته، وإدراكه الحسن من المعيب، والمصلحة والمفسدة.

٢١ - ترك المُهدى إليه المقارنة بين الهدايا

فمن ذوق المُهدى إليه ألا يقارن بين هدية فلان وهدية فلان؛ فيقوده ذلك إلى الحطّ من قدر مَنْ قَلَّتْ قيمة هديته؛ بل ينبغي له أن يشكر كلّ مَنْ أهدى، وأن يستحضر أن الناس في الهدية مذاهب، ومواهب، وأن كُلاًّ ينفق مما عنده، وأن العبرة -

في العموم - هو معنى الهدية، والدافع لها، وليس قيمتها المادية فحسب.

٢٢ - حسن التلطف في طلب الهدية

فمن ذوق طالب الهدية أن إذا استهدى أحداً هدية أن يتلطف في طلبها؛ فإن ذلك أدعى لنجاح بغيته؛ ولهذا قالوا: حسن طلب الحاجة نصف العلم.

ومن نادر ما يذكر في هذا الباب ما جاء في «العقد الفريد» وغيره أن رجلاً كتب لآخر يستهديه حماراً، فقال: «أبغيه متجنباً للزلل، متوقياً للنبل، إذا خلّيت عنّانه وقف، وإذا حرّكته سار، وإذا دخلت ظلالاً تطامن، وإذا عطفتُهُ تلاين».

فكتب إليه: «ارفق قليلاً؛ لعل القاضي يمسح حماراً؛ فأهديه إليك».

٢٣ - إشراك الحاضرين بالهدية

فمن ذوق المهدي إليه أن إذا وردته الهدية وهو في محضر جمع من الناس أن ينيلهم شيئاً منها إذا كان ذلك مما يمكن قسمه أو الشراكة فيه؛ كأن يرّد إليه طيب، أو طعام، أو كتب مكررة، أو نحو ذلك.

ومن لطيف ما يذكر في هذا المعنى ما رواه ابن قتيبة في عيون الأخبار؛ حيث قال: «وكان ابن عباس يقول: من

أهديت له هدية، وعنده قومٌ فهم شركاء فيها؛ فأهدى إليه صديق ثياباً من مِصر، وعنده أقوامٌ؛ فأمر برفعها؛ فقال له رجل: ألم تخبرنا أن من أهديت له هدية، وعنده قوم فهم شركاء فيها؟!

فقال: إنما ذاك فيما يؤكل ويشرب، ويشم.

فأما من ثياب مصر فلا.

وقال ابن قتيبة: «حدثني محمد بن سلام الجمحي، قال: حدثني خلاد بن يزيد الباهلي، قال: أهديت ليزيد بن عمر بن هبيرة في يوم المهرجان هدايا وهو أمير العراق، فَصُفَّت بين يديه، فقال خلف بن خليفة وكان حاضراً:

كَأَنَّ شَمَامِيْسَ فِي بَيْعَةٍ تُسَبِّحُ فِي بَعْضِ عِيدَانِهَا
وَقَدْ حَضَرَتْ رَسْلَ الْمَهْرَجَانِ وَصَفُّوا كَرِيْمَ هَدِيَّاتِهَا
عَلَوْتَ بِرَأْسِي فَوْقَ الرُّؤُوسِ فَأَشْخَصْتَهُ فَوْقَ هَامَاتِهَا
لَأُكْسِبَ صَاحِبَتِي صَفْحَةً تَغِيْظُ بِهَا بَعْضَ جَارَاتِهَا

فأمر له بجام من ذهب، ثم أقبل يفرق بين جلسائه تلك الهدايا، وينشد:

لَا تَبْخَلَنَّ بِدُنْيَا وَهِيَ مُقْبِلَةٌ فَلَيْسَ يُنْقِصُهَا التَّبْذِيرُ وَالسَّرْفُ
فَإِنْ تَوَلَّتْ فَأَحْرِى أَنْ تَجُودَ بِهَا فَالْحَمْدُ مِنْهَا إِذَا مَا أَذْبَرْتُ خَلْفُ

٢٤ - تذكُر المهدى إليه الهدية،

والحذر من نسيانها

فإذا كان من ذوق المهدى نسيانُ هديته، وتركُ التذكير بها - فإن من ذوق المُهدى إليه ألا ينساها، بل من ذوقه أن يجدد الشكر للمهدي، وأن يُذكِّره - أحياناً - بهديته، وما كان لها من أثر في نفسه.



غرائب الناس في الهدية

هذا وإن للناس في الهدية، وذوقها غرائب يطول ذكرها؛ فمن الناس من هو مهذاء بالفطرة؛ فلا يكاد يمر عليه يوم، أو مناسبة إلا ويهدي ما شاء الله له أن يهدي سواءً كان المُهدى صغيراً أو كبيراً.

ومن ولع بعضهم في الإهداء أنه يعرف مقاسات ثياب أصحابه، وأحذيتهم، وأذواقهم في كثير من الأشياء.

وما بين الفينة والأخرى يتحفهم بشيء من ذلك.

بل وبلغ ببعضهم أنه يعرف من ذلك ما يخص والدي أصحابه، وأولادهم، وإخوانهم، وأهلهم؛ فيتعاهدهم بذلك من آونة لأخرى.

وأعرف رجلاً من كبار السن لا يخلو جيبه من الهدايا سواء كان حلوى، أو غيرها، ولا يجد راحته إلا بإعطاء جُلاسَه صغاراً أو كباراً شيئاً مما معه.

وأعرف أناساً لا يشعرون أن أحداً من أصحابهم بحاجة إلى شيء إلا بادروا إلى إتحافه به، وإهدائه ما يسد حاجته، ولسان حالهم يقول:

بطيء عنك ما استغنيت عنه وطلاع عليك مع الخطوب
وأعرف إنساناً مكث مدة تزيد على أربعين سنة لم يرَ
صاحباً له؛ فلما سمع بمرضه سافر إليه، وزاره، وقدم له سيارة
جديدة؛ ف وقعت موقعها عند ذلك الصاحب.

وأحدهم لما سمع أن صديقه يرغب في نوع من
السيارات، ويريد شراءها - فاجأه بإحضار تلك السيارة إلى
منزله.

وأعرف بعض الناس لا تمر مناسبة من المناسبات إلا
ويهدي لأصحابه وأقاربه ما يلائم تلك المناسبة.
وأعرف من لا تطيب نفسه بشراء شيء له ما لم يشتري معه
هدايا لبعض أحبائه.

وأعرف من الناس من إذا أحضر هدية لأحد، وكان
الوقت ليلاً - لا يأتيه النوم إلا بكل كلفة؛ فرحاً بتلك الهدية
التي سيقدمها.

وأعرف من الناس من لا يقدّم من سفر إلا ومعه هدايا -
ولو قلت - لأهل بيته وأحبائه.

وأعرف من الناس من إذا أهدي له هدية أظهر الفرح
الشديد، والشكر والعرفان للمهدي، وربما بعث برسالة ورقية
أو هاتفية تحمل مشاعره تجاه المهدي، وربما أوصى من يترجم
مشاعره عبر وسيط بليغ؛ خشية أن يقصّر في الشاء.

وأعرف من بعض الموسرين ممن لديهم مزارع واسعة للنخيل أنهم يُعنون بنخيلهم أشد العناية سقياً، وملاحظةً، ونحو ذلك؛ فإذا أثمر وحن وقت حصاده، أو صرمه - أخرجوا حَقَّهُ من الزكاة، وأخذوا ما يحتاجون إليه، ثم قاموا على باقيه - وهو الأكثر -؛ فأهدوه لأقاربهم، وأصدقائهم، ومعارفهم، وضيوفهم بعد أن يحسنوا إعداده لذلك؛ من ناحية تنظيفه، وتصنيعه، ووضعه في أوعية مناسبة، بحيث تزداد جودته، ويروق مرآه، ويحلو طعمه؛ وهذا دأبهم كل عام.

وأعرف بعض الكرماء من يتحف بعض أصحابه وأقاربه في الأعياد وغيرها من المناسبات بالهدايا الراقية من نحو العطور، والأطياب، والعسل، ونحو ذلك.

وأعرف بعضهم يرسل لبعض أَعْرَته في بعض المناسبات كالأعياد - فئاتٍ ماليةً متنوعة جديدة؛ حتى يهدوها لأولادهم، ومن يحبون.

وأعرف بعض من يُهدى إليهم من هم على درجة عالية من حسن القبول للهدية؛ حيث يصرح بالاستسلام للمهدي، ويقول له: لن أستطيع مكافأتك مهما فعلت، ولو حاسبتنا لأخرجتنا من كل ما نملك، وما أنت لنا إلا كما قال الأول:

فما ندري لفرطك في العطايا أنكسر من سؤالك أم نُقِلُّ
إذا ورد الشتاء فأنت شمسٌ وإن ورد المصيف فأنت ظلُّ

أو كما قال الآخر:

وكنْتَ لنا عمّاً لطيفاً ووالداً رؤوفاً وأماً مهّدتْ فأنامتِ

أو كما قال الآخر:

فكنْتَ لنا شيهم أباً ولكهْلِهِمْ أخاً ولذي التقويس والكَبْرةِ ابنماً^(١)

ولا ريب أن مثل هذا الصنيع مما تنشرح له صدور الأكابر، وتقابله بالارتياح.

وفي مقابل ذلك كله تجد من الناس من لا يعرف الهدية من قريب ولا بعيد؛ إذ لم يهد إلى أحد طيلة حياته آية هدية.

ومنهم من لو أهدي إليه ما أهدي لم يَبُح بكلمة شكرٍ أو دعاء فضلاً عن أن يرد الهدية بمثلها، أو أحسن منها.

ومنهم من يحتقر الهدية، وربما ردها على صاحبها، أو أزرى بها، ولسان حال هؤلاء كما قال الأول:

لنحْن أغلظ أكباداً من الإبل



(١) الناشي: الصغير، وذو التقويس والكَبْرة: هو كبير السن الذي تقوَّس ظهره من الكِبَر.

الخاتمة

وهكذا ترى أن الهدية مَقْصِدٌ من مقاصد الشريعة المطهرة، ومظهرٌ من مظاهر الإنسانية المهذبة، ومَعْلَمٌ من معالم جلب السعادة، ونفي الوحشة، وأنها تختلف باختلاف أذواق الناس رفعةً وحِطَّةً.

وأخيراً لا بد من التذكير بأمرٍ مهم في شأن الهدية ألا وهو احتساب أجرها، واستحضار أنها مرضاةٌ للرب - جلَّ وعلا - واستجابةٌ لأمر رسوله ﷺ، وإسعادٌ للناس، ونشرٌ للسلام والوئام بينهم؛ فإن ذلك مما تستجلب به الخيرات، وتستمطر البركات، ويتعاضم النفع، ويتسلسل الثواب.

فهذه خواطر عجلى، ونظرات في ذوق الهدية تحتاج إلى مزيد بسط وإيضاح؛ فلعل الله ييسر فرصة لذلك.



الفهرس

الموضوع	الصفحة
- المقدمة	٥
- فضائل الهدية	٧
- مظاهر ذوق الهدية	٩
١ - سترها، وتعجيلها، وتصغيرها	٩
- كلمة لابن عباس في ذلك	٩
- أبيات للبحتري، وآخر، وأبي نوفل	٩
- بيتان لبشار في ذم التأخير	١٠
- قد يقتضي ذوق الهدية خلاف الأصل	١٠
٢ - حسن اختيارها	١١
٣ - الحذر من احتقار الهدية	١١
- موقف من الشيخ ابن باز	١٢
- وقفة مع حديث: «لا تحقرن جارة لجارتها...»	١٣
٤ - ألا يترتب عليها إضرار بأحد	١٥
٥ - مراعاة زمان تقديم الهدية	١٥
٦ - مراعاة حال المُهدى إليه	١٦
٧ - ألا تقطع عادتك في الإهداء	١٧
- موقف نبيل بين الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن	
عبد الله بن صفوان	١٨

الصفحة

الموضوع

- ٨ - مراعاة حال تسليم الهدية ١٨
- ٩ - أصحاب الهدية بمعاني الود واللفظ ١٩
- اعتذار محمد بن مهدي العكبري ٢٠
- قصة طريفة في ذلك ٢٠
- قصة إهداء أبي العتاهية للفضل بن الربيع ٢١
- إهداء الطائي إلى الحسن بن وهب ٢١
- ١٠ - مراعاة مكان الهدية ٢٢
- قصة في ذلك للقاضي الجرجاني مع صاحب بن عباد ٢٢
- ١١ - التنوع في الهدية خصوصاً إذا قُدمت لمجموعة متفرقة ٢٤
- ١٢ - نسيان الهدية والحذر من التذكير بها ٢٤
- ١٣ - الاتحاف بالهدية حال القدوم من السفر ٢٦
- ١٤ - الأسرار بالهدية ٢٧
- ١٥ - إتحاف الطلاب بالهدايا ٢٨
- ١٦ - ألا يكبر في نفسك أن لم يكن أهدي إليك ٢٨
- ١٧ - حمل الهدية عن المهدى إليه ٢٩
- ١٨ - العناية بالهدايا المعنوية ٢٩
- ١٩ - حسن القبول للهدية من قبل المهدى إليه ٣٠
- أبيات لعنترة والمتنبي وآخر ٣١
- قصة لطيفة في شكران الهدية ٣١
- قصة أخرى (مروحة الروح) ٣٢
- ردُّ الهدية وترك قبولها ٣٣
- ٢٠ - مراعاة المهدى إليه ملائمة الإخبار بالهدية أو عدمه ٣٤

الصفحة

الموضوع

- ٢١ - ترك المهدى إليه المقارنة بين الهدايا ٣٤
- ٢٢ - حسن التلطف في طلب الهدية ٣٥
- نادرة في هذا الباب ٣٥
- ٢٣ - إشراك الحاضرين بالهدية ٣٥
- لطيفة في ذلك ٣٥
- قصة ليزيد بن عمر بن هبيرة ٣٦
- ٢٤ - تذكر المهدى إليه الهدية، والحذر من نسيانها ٣٧
- غرائب الناس في الهدية ٣٨
- الخاتمة ٤٣
- الفهرس ٤٥